

الأُسرة والتعامل العاطفي مع واقع التوحد: ما بين التلم والتقبل

The family and emotional dealing with the reality of autism: between pain and acceptance

قسيلات فتيحة*¹

kecilatf@gmail.com

¹ جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس - الجزائر -- مخبر البحوث النفسية والتربوية، جامعة سيدي بلعباس

تاريخ النشر: 2021/12/31

تاريخ القبول: 2021/12/24

تاريخ الإرسال: 2021/09/20

ملخص:

يؤثر إصابة الطفل باضطراب طيف التوحد على الأسرة التي تضطر إلى التكيف مع التحديات اليومية للعيش مع واقع التوحد، إذ هناك الكثير من المؤثرات العاطفية التي تحدث لأفرادها جراء صدمة التشخيص، لذلك فمن المحتمل أن يستغرق تقبل التشخيص وقتا حتى يستطيع أفرادها تكيف تفاعلاتهم مع الطفل التوحدي. إن المشكلات التي يواجهها والتحديات التي يتعامل معها كل واحد من أفراد الأسرة مختلفة ومتنوعة، فيكون لكل واحد منهم أسلوب تعامله الخاص مع الطفل المضطرب بحسب العلاقة العاطفية التي تربطه به، فيكون التعامل العاطفي معه إما إيجابيا متشعبا بالحب والقبول أو سلبيًا ينم عن النيز والرفض، لذلك فإن الحصول على الدعم العاطفي ضروري لمساعدة أفراد الأسرة على التأقلم والتشجيع لمستقبل إيجابي للطفل.

الكلمات المفتاحية: اضطراب طيفالتوحد: الأسرة: الطفل التوحدي: التعامل العاطفي: الدعم العاطفي

Abstract :

Autism spectrum disorder affects the family, the later has to adapt to the daily challenges of living with the reality of autism, as there are many emotional influences that occur to family members as a result of the shock of diagnosis, indeed it may take time to accept the diagnosis so that family's members can adapt their interactions to the autistic child. The problems that each family member faces and the challenges they deal with are different and varied, each one of them has his own way of dealing with the troubled child according to the emotional

relationship that binds them, so the emotional dealing with him is either positive, full with love and acceptance, or negative that indicates rejection, emotional support is necessary to help individuals cope and encourage a positive future for the child.

Keywords: autism spectrum disorder; family;autisticchild; emotionaldealing; emotional support

مقدمة:

نظرا للانبشار المزابء لاضطراب طفف الفوفء فف ءول العالم ءلال السنوااء الفمسن الماضفة وشففس إصابة واءءة من أصل (160) فف العالم وققا لمنظمة الصءة العالمفة (2017)، ءءل أسرة الطفل المصاب فف رءلة صعبة وملفءة بالضغوظاا والمشءلاا ءمءل فف الفءرة الفف ءل الفشففس، فلا فصفب هءا الاضطراب الطفل من فراغ بل ءصاابه مءموءة من ءءءفاا ءواصل وسوء فهم الاشاراا الاجءماعفة والافتقار للفهم العاطففي الءف فؤءر بشءل كبفر على كل فرد من أفراد الأسرة¹، وبما أنه لا فمكن الفصل بفن الءفاة الوءءائفة والواقع النفسف الءف ءعففشه الأسرة فأنه من المءءمل أن ءءءاها مءموءة من المشاعر ءراء اضطراب الطفل، ففظهر بفءلك أفرادها رءوء أفعال انفعالفة واستءاباا عاطففة على اءر الفشففس، كما قء ءءاؤر العلاقاا العاطففة بفن أفرادها (الأبوان، الزوءان، الإءوة، والطفل المضطرب)، ولءلك فشعر أسر الأطفال المصابفن بالفوفء بأنهم فءءملون ما لا فطققون من أعباء وأنهم فففقرون للءعم، مما فءعل الكل فبءل مءهوءا عاطففا مضاعفا للفعامل مع بعضهم البعض ومع الواقع فف وءوء الفوفء.

وبالفالف من المهم لنا أن نعرف ما هف رءوء أفعال الأسرة بعء ءلقف نءاؤء ءشففس طفلفها باضطراب طفف الفوفء؟ وما هو ءاؤفر العاطففي لإصابة الطفل بفءا الاضطراب على كل فرد من أفراد الأسرة؟ وكمف فءم الفعامل عاطففا مع الطفل الفوفءف ءاؤل الأسرة؟ وهل ءءءا الأسرة إلى الءعم العاطففي فف هءة الءالة وكمف فءم ءلك؟

¹ - معء ءوءة ءوول للأسرة، رفاه الأسر المءعافشه مع اضطراب طفف الفوفء فف قطر، ءار ءامعة ءمء بن ءلففة للنشر، ءوءة، قطر، ط1، 2018، ص9.

1. اضطراب طيف التوحد:

اضطراب طيف التوحد واضطراب التوحد كلاهما من المصطلحات العامة لمجموعة من الاضطرابات في النمو العصبي، تظهر أعراضه خلال السنوات الأولى من عمر الطفل (أي إلى حدود 8 سنوات) حسب الجمعية الأمريكية للطب النفسي (2013)، وينطوي على صعوبات كبيرة في تفاعلات الطفل الاجتماعية وتواصله، وغالبا ما يقوم بأنماط سلوكية متكررة أو يكون لديه اهتمامات محدودة¹.

لا تزال أسباب الاضطراب مجهولة لحد الآن، هناك العديد من الأبحاث قيد الإجراء لمعرفة الأسباب، ولكن المعروف أن المشكل في ذلك هو الطريقة التي يتطور بها الدماغ ومن المحتمل أن يبدأ في وقت مبكر جدا من النمو.

تعتمد المعايير الطبية لتشخيص الاضطراب على الإصدار الخامس من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية والعقلية (DSM-5)، وقد طرأ تغيير كبير عن الإصدار الرابع وهو أن اضطراب طيف التوحد يعتبر الآن طيفا واحدا بدلا من عدة أنواع فرعية (التوحد الكلاسيكي، متلازمة اسبرجر، والاضطراب التحليلي لدى الطفولة، واضطراب النمو الشامل غير المحدد)، ويعني مصطلح الطيف أن الأعراض قد تبدو شديدة الاختلاف من شخص لآخر من حيث الشدة على الرغم من وجود أنماط واضحة وسلوكيات أساسية مشتركة ومتشابهة بين تلك الاضطرابات سابقة الذكر.

وفيما يلي وصف للأعراض التي يجب أن يظهرها الطفل حتى يشخص باضطراب طيف التوحد حسب الجمعية الأمريكية للطب النفسي (2013):²

- صعوبات في التفاعل والتواصل الاجتماعي في مختلف السياقات ويظهر ذلك في: صعوبة التبادل الاجتماعي والعاطفي، واستخدام التواصل غير اللفظي للتفاعلات الاجتماعية، وتطوير علاقات اجتماعية مناسبة للفئة العمرية والحفاظ عليها وفهمها.

- إظهار أنماط السلوك أو الاهتمامات أو النشاطات المحدودة جدا والتكرارية مثل: تكرار الكلام أو الحركات أو استخدام الأشياء بشكل نمطي وتكراري، الإصرار على التماثل

¹ - معهد النوحة الدولي للأسرة، 2018، المرجع السابق، ص11.

²-Dilip V. Jeste , M. D. & al, Diagnostic and statistical manuel of mental disorders, DSM-5 TM, American Psychiatric Association, New School Library, Washington, DC, Fifth Edition, 2013, pp. 50-58.

وانءءام المرونة ففما ففعلق بالفإراءاء الروففنففة أو انماط السلوك المءكرر أو المفاومة القوففة للفففر، اهمامام مءءوءة فابفة فكون شفءة أو مركزة بشكل فر طبيعى، إظهار رء فعل مبالغ ففه أو ناقص فجاه المففراء الفسفة أو الافهمام فر الاعففاءف بالمظاهر الفسفة للفففة.

لابء أن فكون هءة الصعوباء موءوءة منذ مرءلة الفوفلة المبكرة (ولكن قد لا فلاف بالكامل فف ففءاوز المطالب الاففماففة قءراء الشفص)، كما فء هءة الصعوباء من الأءاء الفومف وففصفه فف المءال الاففمافف والمفف فف مءالاء وظفففة أخرى.

2. العاطفة والأسرة:

كففرا ما فكون العواطف مففةة بشكل رائع فءذب انفباهنا إلى الملامح الرففسفة فف الففة، وففسن اسففعابنا الفسف وففء للاسففاباء السلوكفة، وفسهل الففاعلاء الاففماففة¹.

فالعاطفة هف ءالة شعورفة فففءع من الففس البشرفة اءر انفعالها بءء فراه أو فسمعه، ءفء ففم اءءبار هءة المشاعر كففءرفة ذاففة والفعبفر عنها باسففابة لفظفة أو سلوكفة فجاه المواقف الانفعالفة أو الأءاء السارة والمؤملة فف الففة، ففبزز العاطفة فجاه الءءء إما برءوء فعل افءابفة (فرء، رضا، صبر، امل) أو برء فعل سلبي (ءزن، اسف، اءباط، ءفبة امل).

كما فظهر العاطفة فف السفاق الأسرف من ءلال الففاعلاء ففها، ولطالما اعءبر علماء الففس أن من وظائف الأسرة اشباع الءاباء العاطففة وفففة المناء الاففمافف والعاطففالملائم لرعاة الأبناء²، فالأسرة الفف فظهر مسففواء عالية من العواطف الافءابفة والفواصل المففءوح بفن أفرادها هف الأفضل فف نمو الأطفال³.

والففامل العاطفف فف الأسرة قد يأءذ صبغة الفعبفر الافءابف أو السلبي فالعواطف الافءابفة (كالءب والافءرام، ومشاعر الرفافة والءنان والافسان والشفقة) ففولء عنها

¹ - عافش صباء، مءهءف الفاهر، الفففشة الاسرففة وءورها فف ففمة مءارات الفففم العاطفف للأطفال، مءلة العلوم الاففماففة والانسانفة، المءلء 9 العءء (2)، ءامعة مءء بوضفاف المسفلة، المءازر، 2019، ص 174.

² - مءء ففولف قنءفل، صافف ناز شلفف، مءءل إلى رعاة الففل والأسرة، ءار الفكر، عمان، الاردن، 2006، ص 28.

³ - معهء ءوءة ءولف للأسرة، 2018، المرفء السابق، ص 46.

ردود فعل ايجابية (كالتعاطف والاهتمام، الانجذاب والإعجاب)، أما العواطف السلبية (كالبغض والكراهة، ومشاعر الشحنة والحقد والغيرة) تظهر من خلال ردود فعل سلبية (كالقسوة والنفور والاشمئزاز، واللامبالاة والانتقاد والنبذ).

اذن فالتعامل العاطفي هو كيفية اختبار الفرد للمشاعر والتعبير عنها في السياق الشخصي من خلال تفاعل الفرد مع البيئة أو الحدث الذي يعيشه، أو في سياق الأسرة من خلال التفاعلات بين أفرادها، وأن الاستجابات المتعاطفة والبناءة تعبر عن الحب والقبول ومن ثم تخلق الاتزان العاطفي للأسرة، أما الاستجابات العاطفية الهدامة فتعبر عن الكراهة والرفض والتي تؤدي إلى تزعزع الكيان العاطفي لها.

3. اضطراب طيف التوحد داخل الأسرة:

إن دخول الطفل غير العادي حياة الأسرة يعتبر حدثاً غير مرغوب فيه وغير مرحب به، مما يمثل موقفاً صعباً وترجع الصعوبة إلى مستوى إدراك الوالدين لمشكلة الطفل، وفي استيعاب ما تعنيه هذه الحالة واستيعاب الآثار المترتبة عنها، كما تكمن الصعوبة في جهل السبب الحقيقي وراء الإصابة¹.

ومنه سوف نتطرق إلى ردود فعل الأسرة، التأثير العاطفي والاستجابات العاطفية لها أثناء التفاعلات اليومية مع اضطراب طيف التوحد.

1.1. تعامل الأسرة مع نتائج تشخيص الطفل بالتوحد: ردود الفعل الشائعة

تعتبر اللحظة التي يكتشف فيها وجود طفل توحد في الأسرة مرحلة حاسمة مشحونة بالعواطف والمشاعر المختلفة غير المريحة، فالكثير من الأسر تفيد بأنها وجدت صعوبة في تلقي التشخيص، تشير الدراسات إلى أن الوالدين يمران بمراحل عاطفية تتمثل في:

الصدمة:

تعد أول مرحلة يمر بها والدي الطفل عند الإعلان عن اضطرابه، مما يجعلهما يعيشان صدمة أليمة وعليهما تقبل الوضع غير المتوقع والمفاجئ، وإعادة توجيه وإدماج هذه الحقيقة الجديدة، وقد يستغرق الأمر وقتاً لمعالجة نبأ التشخيص. كما تصاحب

¹-Malhotra, A. K., & Sharma, A. K., A study to assess the disability impact on parents of children with mental retardation studying in two special schools of Delhi, Indian J. Prev. Soc. Med, 44(1-2), 2013, p. 24.

هذه المرحلة إصابة أولياء الأمور بالتشوش والارتباك، الذهول والعجز التام عن فعل أي شيء، فبعضهم يمتنع عن التواصل ويحاول تجاهل المعلومات هروبا من الواقع، بينما يشعر آخرون بالحيرة.

يقول Lamarche (1985) في هذا الصدد: "إن ولادة طفل معاق يجعل الوالدين يعيشان بين رغباتهم والواقع، فهم تحت وقع الصدمة التي تظهر في عواطف جياشة وردود أفعال متطرفة أحيانا، ومهما كانت ردود الفعل فهي طبيعية وصحية وتكون متباينة وجد معقدة ولا يمكن التنبؤ بها... كما أن الوالدين لا يسمعان ولا يفهمان ما يقال لهما فاقدين الاتصال بالواقع بصفة مؤقتة... وتدرجيا تتطور اتجاهات الوالدين نحو الايجابية والدقة كمحاولتهم معرفة أسباب الاعاقة"¹.

النفى او الانكار:

بعد الصدمة تأتي مرحلة الانكار وهو رد فعل دفاعي يعني رفض تصديق اضطراب الطفل. يعمل الانكار على التخفيف من وقع الصدمة على الوالدين ويمنحهما الوقت الكافي للتقبل والتأقلم مع الواقع، في هذه المرحلة تكون أعصاب الوالدين عادة منهكة وعلى حافة الهاوية.

يكون الانكار بأشكال متعددة فقد يظهر على شكل بحث الوالدين عن مصادر أخرى لتشخيص حالة طفلها (الانتقال بين الأطباء والمختصين) بحثا عن تشخيص آخر أفضل وأكثر تقبلا²، أو قد يركزان في هذه المرحلة على أشكال السلوك التي يقوم بها الطفل والتي تدل على عدم وجود مشكلة لديه وأنه مختلف فقط عن اخوته أو أقرانه في بعض المظاهر التي يمكن أن تزول فيما بعد.

¹ - Lamarche, C., les parents d'un enfant handicapé, Revue de la littérature américaine, Santé mentale au Québec, Vol 10, N 1, 1985, p.37.

²-Claude, L, N. , Laura, G., Processus et stratégies d'adaptation positives de parents face à la déficience intellectuelle de leur enfant, Revue Francophone de la déficience intellectuelle, vol 20, 2009, p.7.

أو قد يتخذ الانكار شكلا آخر بالنظر إلى أن المشكلة الحالية ليست بدرجة الشدة التي قدمت لهما، أو قد يحاولان إيجاد مؤسسات لإيواء الطفل كحل ملائم وقد يصل الانكار إلى التأمل أن طفلهما سوف يشفى بمعجزة ما¹.

مرحلة الألم النفسي:

بعد أن تعرض الوالدين لصدمة التشخيص وانكارهما لاضطراب طفلهما تأتي محطة أخرى من ردود الأفعال وهي أنهما يطوران شعورا شديدا من الأسى واليأس والكآبة، وعدم الرضا والإحباط نتيجة وجود طفل توحدي في الأسرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى نتيجة احساسهما بالذنب وتأنيب الضمير وأنهما السبب في اضطراب طفلهما². كما أن الانفعالات في هذه المرحلة عنيفة ومليئة بالحزن العميق والبكاء المتكرر بسبب فقدان الآمال التي وضعوها لطفلهم قبل التشخيص، كما يشعر الوالدان بالقلق والتوتر والخوف والغضب الشديد الذي قد يوجهانه نحو الخارج ليصل بهم الأمر إلى التصرف مع الآخرين بعدوانية، أو قد يبتعدان عن الآخرين ويتخذان الانعزالية.

كما نجد من الآباء والأمهات من يصل بهم الأمر إلى فترة الحداد الناتج عن فقدان موضوع التعلق العاطفي، حيث يقول لامارش: "ان الوالدين يعيشان عملية حداد للطفل المرغوب وتتجلى حالة الصدمة في انفجار عاطفي ولامبالاة ظاهرة ومشاعر الذعر والوهم التي يعاني منها الوالدان يوميا"³.

التكيف والتقبل:

قد تعني مرحلة التقبل أنه يمكن للوالدين تفهم التعايش مع اضطراب التوحد وأنهما مستعدان للدفاع عن احتياجاتهما وحاجات طفلهما.

وما يميز هذه المرحلة انها عملية مستمرة وليست نهائية بمعنى أن هذه المرحلة هي بداية تطلع الوالدين لما حولهما من بدائل وامكانيات لمعالجة طفلهما ورعايته، بحيث يصبحان أكثر واقعية وتقبلا للواقع واعترافا بالحقيقة، وبذلك يكونان أفضل مما كانا

¹ - حاج محمد يحيى، بوسعدة قاسم، الحاجة إلى الإرشاد الأسري لأسر اطفال اضطراب التوحد، مجلة دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، المجلد 13 / 2، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2020، ص 242.

² - القمش مصطفى نوري، اضطرابات التوحد (الاسباب- التشخيص- العلاج- دراسات علمية)، دار المسيرة، عمان، الاردن، ط1، 2011، ص 257.

³ -Lamarche, C., 1985,ibid, p. 35.

عليه سابقا فيما يخص استيعاب المعلومات والحقائق المتعلقة بوضع الطفل والخدمات المتاحة¹.

لا تنتهي تجربة مواجهة تشخيص اضطراب طيف التوحد وتقبله على مرة واحدة قد تسير الأمور على ما يرام أحيانا ويشعر الأولياء انهم قد نجحوا في تقبل التشخيص، ولكن بعدها قد يحدث شيء ما يتسبب في عودة المشاعر من جديد.
احتواء الازمة:

هنا يبرز تقبل الوالدين لاضطراب الطفل وشعورهما بالقدرة على التحدي والعطاء بالرغم من الصعوبات التي تواجههما. وتتسم هذه المرحلة بدرجة من النضج والتفهم التدريجين لمدى تأثير الاضطراب على حياة الطفل وأسرته وللتطور المنطقي المتوقع لحالته، حتى يصل إلى التخلص من المشاعر السلبية الناجمة عن الشعور بالذنب وتأييب الضمير².

إن وصول الوالدين لهذه المرحلة يعد مؤشرا ايجابيا ولكنه لا يعني عدم حاجتهما إلى الدعم العاطفي، أو المساعدة أثناء تربية الطفل وتعليمه وتلبية احتياجاته³.

اما فيما يخص ردود فعل الاخوة تجاه تشخيص اخيمم /اختهم بالاضطراب فتؤكد في ذلك الدراسات أن الاخوة غالبا ما يعيشون نفس الانفعالات التي يخبرها الوالدان كالهلع والارتباك والخوف والغضب والشعور بالذنب وما إلى ذلك، وقد يمرون بأوقات عصيبة عند مسائرتهم لبعض هذه المشاعر وخاصة إذا كان هؤلاء الاخوة أصغر سنا وبالتالي أقل نضجا⁴، إلا أن استجابة الإخوة للتشخيص لا تكون بنفس الحدة عند الوالدين وبنفس المراحل للاختلاف في درجة الوعي وكم المعلومات حول الاضطراب، بالإضافة إلى أن الوالدين هما الأقرب لطفلهما المضطرب مقارنة بإخوته.

2.3. مجالات القلق الشائعة للأسرة بعد التشخيص:

- بالنسبة لوالدي الطفل التوحدي:

¹ - احمد يحي خولة، ارشاد أسر ذوي الحاجات الخاصة، دار الفكر، عمان، ط2، 2008، ص 43.

² - احمد يحي خولة، 2008، المرجع السابق، ص 44.

³ - محمد عصام طرية، الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والعناية بهم، مؤسسة بلسم للنشر والتوزيع، الاردن، 2011، ص 22.

⁴ - محمد عيسى اساعيل، الفروق في أبعاد التفاعل الأسري داخل أسر التلاميذ ذوي الإعاقة الذهنية البسيطة العدوانيين وغير العدوانيين بدولة الكويت، رسالة ماجستير في التربية الخاصة، جامعة الخليج العربي، مملكة البحرين، 2007، ص 63.

قد يمر الوالدين بالعديد من المشاعر الايجابية والسلبية ومن أمثلة المشاعر الجديدة التي قد يواجهونها بعد التشخيص:

- قد يتطور لديهم مشكل التوتر والقلق والتي يمكن أن يؤثر على حياتهما العملية.
- قد يشعران بالضغط بسبب محاولتهما لتعلم كل شيء عن التوحد بأسرع وقت ممكن.

- قد يقلقان بشأن مستقبل الطفل والاسرة ككل.
- قد يكونان أقل ميلا لمشاركة مشاعرهما مع الآخرين والتعبير عنها.
- قد يصبحان متوترين حول الضغوطات المتوقعة وكيفية إدارة المهام والأنشطة اليومية¹.

- بالنسبة لإخوة الطفل التوحدي:

قد يواجه الإخوة عواطف خاصة تجتاحهم نتيجة للتشخيص الجديد، ومن أمثلة المشاعر العديدة التي يواجهونها بعد التشخيص:

- قد لا يفهم الإخوة ما يحدث مع أخيم/ أختهم من ذوي التوحد فقد يكونوا غير قادرين على فهم التشخيص وتأثيره.

- قد يشعرون بالضيق عندما يقوم الوالدين حينها بالتركيز على الطفل واضطرابه فقط.
- قد يشعرون بالحرج أمام الأصدقاء أو الجيران حول تشخيص الطفل.

- قد يشعرون بالقلق على أخيم/ أختهم من ذوي التوحد وعلى والديهم تجاه تأثير التشخيص عليهم جميعا، دون التصريح بمشاعرهم حول ذلك ودون القدرة على التعبير عنها².

3.3. التعامل العاطفي مع واقع التوحد: ما بين التألم والتقبل

يمكن أن يولد التشخيص مشاعر صعبة (عدم الفهم، عدم الثقة، الشعور بالخوف وعدم التأكد) بدون وجود أدوات أو صفات سحرية للتعامل مع الانعكاسات المنبثقة عن الاضطراب، فقد تكون الصعوبة عاطفية كون المشكلة غير مرئية فيزيائيا وأنها عبارة عن مشكلة اتصالية تفاعلية، كما قد تكون الصعوبة في البحث عن أطر

¹ - مؤسسة التوحد يتحدث، دليل الوالدين للتوحد: أداة دعم الأسر من مؤسسة التوحد يتحدث، (دت)ص1، تم الاسترجاع بتاريخ: 2021/08/20 من <https://aljalilchildrens.ae/uploads/files/parents-guide-to-autism-arabic.pdf>

² - مؤسسة التوحد يتحدث، (دت)، المرجع السابق، ص 4.

واتخاذ القرار بتبني برامج علاجية تقول أم لطفل توحدي "الافق ضيق! ما يمكن توقعه وما يمكن رجاؤه"¹.

ومن الجدير بالذكر أن لا أحد ولد مع معرفة كيف يتم التعامل مع هذه الحالات وليس هناك من الوالدين من فهم على الفور ما الذي يجب فعله، فكثير من الأسر ينغمرون أفرادها بالعواطف والمخاوف بعد الإعلان عن التشخيص (الأسى، التحسر، فقدان الأمل) فهذا أمر طبيعي ومقبول، لكن خلال المسيرة الطويلة التي يمرون بها قد يجدون أنفسهم يسلمون بالأمر من غير أي اعتراض أو تحفظ على نتائج التشخيص، مقرين بمشاعرهم، مجبرين بذلك على ملائمة توقعاتهم مع واقع تشخيص الطفل باضطراب طيف التوحد. يمكن لكل والد أن يتعرض لمراحل ما بين التألم والرفض إلى الشعور بالارتياح والتقبل بشكل مختلف وبمراحل مختلفة، كذلك توجد مراحل قد لا يتعرض لها الوالدين على الإطلاق، المهم أن يصلوا في نهاية هذه المرحلة إلى توازن معقول بين التألم والواقع الحقيقي للطفل².

4.3. تعامل الوالدين مع الطفل التوحدي:

تشير الأدبيات النظرية على معاناة والدي الطفل التوحدي نفسياً، حيث توصلت نتائج المسح الذي قام به (معهد الدوحة الدولي للأسرة، 2018)³ بتسجيل ارتفاع في مستويات الضغوط النفسية للوالدين، وانخفاض في مستويات العلاقة العاطفية ومستوى ثقتهم بكفاءتهم الوالدية، كما تزداد حدة هذه الضغوط لدى الأم أكثر منها لدى الأب، حيث تحس الأم بالألم لعدم استجابة الطفل العاطفية، وقد لا تعرف بحد ذاتها الطريقة السليمة للتعامل معه.

أما المواقف الوالدية في حالة الطفل التوحدي فقد يعبر عنها بمصطلح الرفض أو الحماية المفرطة كموقفين متناقضين يعبران عن استجابات عاطفية متطرفة وعن

¹ - كادرمركز أوت للتوحد، كادر المركز للتوحد، الخطوات الأولى: كراس الأهل للأولاد المشخصين على طيف التوحد، (2015)، ص 24، تم الاسترجاع بتاريخ: 2021/08/20 من

<https://alut.org.il/wpcontent/uploads/2014/12/%D7%A6%D7%A2%D7%93%D7%99%D7%9D%D7%A8%D7%90%D7%A9%D7%95%D7%A0%D7%99%D7%9D%D7%91%D7%A2%D7%A8%D7%91%D7%99%D7%AA1.pdf>

² - كادر مركز أوت للتوحد، كادر المركز للتوحد، (2015)، المرجع السابق، ص 24-31.

³ - معهد الدوحة الدولي للأسرة، 2018، المرجع السابق، ص 14.

نموذج من التفاعل السلبي، فالرفض قد يتجلى في نبذ الطفل والتعبير عن عدم محبته، سوء معاملته من خلال التخويف والتهديد، التحقير والاهانة، اللامبالاة والعزل، الإهمال والتخلي عن الطفل وتمني الموت له، ادانته بالتقصير في حق تعليمه وعلاجه وتقديمه للمجتمع، كما قد يعامل الطفل بحماية مفرطة من خلال المغالاة في الرعاية والخوف عليه وتدليله المفرط، ومنعه من السلوك الاستقلالي مما يؤثر تأثيراً سيئاً عليه من الناحية الاجتماعية والعاطفية كما يؤثر ذلك على الاتزان العاطفي لإخوة الطفل. كما يمكن ملاحظة مواقف وسيطة يتجه بها الوالدين لقبول هذا الطفل كما هو، حيث يسرهما وجوده ويرغبان فيه ويفخران بدورهما كوالدين ويحيطانه بالحب والعاطفة والحماية والرعاية والأمن. حيث تؤكد (Robin Allen 2003)¹ أن اهتمام الأم بالطفل التوحدي واثارته للعب معها، وإطالتها للنظر في عينيه وهي تتحدث إليه حتى يتعود على ذلك، والاستخدام بصورة عفوية أساليب جسدية مباشرة مثل العناق والتقبيل (بالرغم من أن الطفل يحاول رفض ذلك)، أو تستعمل أساليب لفظية لتظهر حباها أو رضاها لطفلها عندما يقوم بسلوك ملائم قد يعمل على إقامة علاقة معها أو مع الآخرين.

5.3. تعامل الإخوة مع الطفل التوحدي:

غالبا ما يكون الإخوة في طليعة المعاناة الوالدية والتغيرات اللازمة لتنظيم الأسرة بعد مجيء الطفل المعاق، وهناك دراسات أثبتت أن وجود طفل مضطرب يؤثر على الإخوة ويجعلهم يمرون بضغوطات وانفعالات نفسية وعاطفية. كما أن هناك بحوث حديثة وشهادات عديدة استحضرت المعاش النفسي المتناقض للإخوة المقسم بين التجربة الانسانية الغنية المعاشة مع الأخ/ الأخت المعاقة والمعاناة التي يولدها هذا الأخير، فقد يشعر الأشقاء بالغيرة والغضب أو المنافسة ازاء الرعاية المكتفة التي يحظى بها شقيقهم المعوق من الوالدين، ولكنهم يعودون إلى تفهم دوافع هذه الرعاية ويشعرون من جراء ذلك بالإثم او الذنب وقد يتحرج الإخوة من التعبير عن مشاعرهم لأبائهم خوفا من المزيد من الضغط عليهم.²

¹ - ميادة احمد عثمان، فاعلية برنامج ارشادي مقترح لأهتات الاطفال التوحدين لخفض مستوى السلوك الانسحابي لأطفالهن بولاية الخرطوم، بحث مقدم لنيل درة الماجستير في التربية وعلم النفس، جامعة الخرطوم، السودان، 2007، ص 47.

² - محمد عيسى اسماعيل، 2007، المرجع السابق، ص 63.

وفي ذلك سجل (معهد الدوحة الدولي للأسرة عام 2018)¹ من خلال تقارير الوالدين أن التوحد يؤثر أحيانا سلبا على الرفاه النفسي للشقيق غير المتوحد فقد يشعر الأخ/ الأخت بالغيرة من حصول الطفل التوحيدي على الاهتمام، أو الشعور بالإحراج من سلوكيات الأخ المضطرب، كما أن العلاقة بين الأشقاء تكون أحيانا أقل ايجابية مما قد يرغب فيه الوالدان، لذا وجب تحسين تفاعلات الطفل التوحيدي مع أشقائه.

الا أن هناك بحوث أخرى سجلت آثارا نفسية واجتماعية ايجابية على إخوة الطفل التوحيدي، تتمثل في القدرة على التحمل والصبر والمثابرة في العمل والانسانية والحنان والحماية في التعامل مع أخيم، حيث توصلت الباحثتان (لعوالي فاطمة وقادري حليلة، 2021) أن لإخوة الطفل التوحيدي قدرة تحمل الصعوبات للوضعيات المعاشة بحيث يستطيعون التفاعل والتجاوب بإيجابية مع الأخ التوحيدي، ويحملون تصورات ايجابية تفاؤلية بإمكانهم التعايش مع أخيم رغم إعاقته، ويتحملون مشاكله دون أن يؤثر ذلك على صحتهم النفسية، ودون تعرضهم لأي ضغوطات أو اضطرابات تعرقل نموهم النفسي والانفعالي، كما أنهم يتمتعون بمرونة نفسية وقدرات تمكنهم من الاندماج والتعامل الايجابي معه.²

6.3. العلاقة بين الزوجين والتعامل واقع التوحد:

إن الإشراف المستمر من طرف الوالدين على رعاية الطفل التوحيدي يؤدي إلى إرهاق جسدي ونفسي وقد يؤثر على العلاقة بين الزوجين وعلى اتزانها العاطفي. إذ يقول في ذلك (Pelchat et all): "إن وجود طفل يعاني من إعاقة يزعزع الديناميات، كما أن الاحتياجات المرتبطة بحالة الطفل تعرض العلاقات بين الزوجين للخطر، وتبين بعض الدراسات أن النزاعات الزوجية المتعلقة بالمهام المنزلية والدعم العاطفي لها تأثير سلبي على شعور الامهات"³. كما أكدت نتائج الدراسات أن العلاقات بين الأزواج تتأثر بسبب نقص اشباع احتياجات الآخر سواء (العاطفية، الاجتماعية، الجنسية)، وإن كانت العلاقة ليست قوية بما فيه الكفاية فتؤدي إلى إضعاف العلاقة أكثر.

¹ - معهد الدوحة الدولي للأسرة، 2018، المرجع السابق، ص 13.

² - لعوالي فاطمة، قادري حليلة، تناول النسقي للارجاعية لدى اخوة الطفل التوحيدي، مجلة العلوم النفسية والتربوية، (3)، 7، جامعة الوادي، الجزائر، 2021، ص ص 287- 311.

³ - محمد عيسى اسماعيل، 2007، المرجع السابق، ص 61.

ومن بين الدراسات التي توجهت نحو دراسة الجانب الزوجي أو الديناميكية الزوجية لدى أولياء الأطفال التوحديين البحث الذي قامت به (سامية رحال، 2019)¹ والتي توصلت إلى أن صعوبات التكفل بطفل توحدي تنعكس سلبيًا على التوافق الزوجي لوالديه وذلك بظهور اضطرابات في الدينامية الزوجية وبعض الصعوبات في التفاعل والتواصل بين الزوجين.

كما أن الدراسة التي قام بها (معهد الدوحة الدولي للأسرة، 2018)² حول الرضا العام للوالدين عن حياتهم وجودة العلاقة العاطفية مع الزوج/ الزوجة، توصلت إلى وجود مستوى أقل من الرضا عن الحياة، وانخفاضًا في مستويات الرضا عن العلاقة العاطفية مع الزوج/ الزوجة، وأنهما يحتاجان إلى الدعم العاطفي والاجتماعي.

كما قد تؤدي إعاقة الطفل في الأسرة إلى تقوية العلاقة الزوجية لكن في حالات قليلة ذلك لأنه ليس من الضروري أن يفجر وجود الطفل المعاق اضطراب العلاقة بين الوالدين، حيث أظهرت الدراسات أن بعض الأسر ممن لديها طفل معاق كانت تحظى بقدر معقول من التوافق والتفاهم الزوجي والتعاطف المتبادل بين الزوجين، ويبدو أن الأمر متعلق بنضج وطبيعة علاقتهما من الأساس وما وجود الطفل إلا سبب محتمل في إثارة الخلافات المتراكمة³.

4- الدعم العاطفي للأسرة وتخفيف عبء التعامل مع واقع التوحد:

قد يؤدي الاهتمام بطفل توحدي إلى استنزاف عاطفي، ويمكن أن يخلق ضغوطًا غير عادية لأولياء الأمور (كوالدين وكزوجين) ولأخوة الطفل أيضًا، هناك طرق لتخفيف عبء التعامل اليومي مع واقع التوحد:

1.4. دعم أولياء الأمور:

على أولياء أمور الأطفال التوحديين القيام بما يلي⁴:

¹ - سامية رحال، التوافق الزوجي في ظل وجود طفل توحدي: قراءة نسقية لدراسة حالة أسرة، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد 5 العدد 3، مركز رقاد للدراسات والبحوث، الأردن، 2019 ص ص 209-222.

² - معهد الدوحة الدولي للأسرة، 2018، المرجع السابق، ص 14

³ - محمد عيسى اسماعيل، 2007، المرجع السابق، ص 61-62.

⁴ - مؤسسة التوحد يتحدث، (دت)، المرجع السابق، ص 10-11.

- ممارسة الرعاية الذاتية (الاهتمام بالنفس، أخذ قسط من الراحة للاسترخاء والاستمتاع).
- الافتخار بالإنجازات المحققة في اليوم للشعور بالراحة والحيوية.
- التركيز على الايجابيات (التقدم الذي يحرزه الطفل) للإحساس بالطاقة.
- متابعة ممارسة التقاليد والروتين اليومي الأسري للإحساس بالاستقرار.
- منح النفس وقتا للتأقلم حتى يتحول الاحساس بالعجز إلى الشعور بالأمل.
- تخصيص وقت للأصدقاء والابتعاد عن العزلة للشعور بالقوة والراحة.
- استكشاف الاهتمامات الابداعية خارج التوحد للشعور بالأهمية الشخصية.
- التفاعل مع مجتمع التوحد من خلال التواصل مع العائلات للإحساس بالدعم.
- طلب المساعدة من المختصين اذا كانت هناك مشكلة في العواطف مع صعوبة في ممارسة الحياة اليومية.

2.4. دعم الإخوة:

على الوالدين ان يقوموا بما يلي¹:

- شرح للإخوة تشخيص التوحد وما يجري مع أخيمهم أو أختهم في وقت مبكر وفي السن المناسب.
- مساعدة الأطفال في تعلم كيفية اللعب والقيام بنشاطات وانشاء اتصال وتشكيل علاقات مع أخيمهم أو أختهم من ذوي التوحد.
- البحث عن مجموعات دعم الإخوة بما يسمح لهم بالتواصل وإقامة صداقات مع أقرانهم ممن لديهم إخوة مصابين بالتوحد كذلك.
- تخصيص وقت لبقية الأطفال الآخرين في البيت وتوزيع الاهتمام على كل الأطفال في الأسرة.

- استشارة المختصين إذا شعر الأولياء أن أحد الإخوة يكبت مشاعره أو يبني التصرف.

3.4. دعم العلاقة الزوجية في الأسرة:

على الزوجين أن يقوموا بما يلي²:

- زيادة القدرة على التواصل والتفاعل في كل الأوقات وخصوصا في الأوقات الصعبة.

¹ - مؤسسة التوحد يتحدث، (دت)، المرجع السابق، ص 05.

² - مؤسسة التوحد يتحدث، (دت)، المرجع السابق، ص 08.

- محاولة التعبير عن المشاعر والاستماع اليها.
- التحدث عن المشاكل فور حدوثها بصراحة ولطف.
- العمل سويا أو تقاسم المسؤوليات على ما يمكن القيام به لتحسين الأمور في الأسرة.
- القيام بالأنشطة الترفيهية والتخطيط لها وقضاء الوقت معا للاسترخاء والمتعة.
- استشارة المختصين في الارشاد الزواجي إذا دعت الحاجة إلى ذلك حفاظا على علاقة عاطفية صحية.

خاتمة:

على أسرة الطفل التوحيدي أن توازن بين العواطف السلبية والايجابية تجاه طفلها، فالحرص على تجنب التعامل معه باعتبار إصابة الطفل باضطراب طيف التوحد حدثا غير قابل للتحمل أو أن التوحيدي غير قابل للتغيير يعد ردة فعل غير مناسبة، في المقابل يجب البحث عن الفرص والنظر إلى الحدث في سياق أوسع هذا ما يساعد الأسرة على تخطي الأزمات والصعاب والتقليل من العبء العاطفي، وعلى الأسرة أن تدرك أن العاطفة المتبادلة بينأفرادها هي عن طريق عمل التوازن في الحب والحزم واهتمام أفرادها بترابطهم وتعاملهم مع بعضهم البعض، فذلك كفيل برسم الأبعاد السليمة لسلوك الطفلوللتماسك الأسري.

المصادر والمراجع:

1. احمد يحي خولة. (2008). إرشاد أسر ذوي الحاجات الخاصة . ط2. عمان، الاردن: دار الفكر.
2. القمش مصطفى نوري. (2011). اضطرابات التوحد (الأسباب- التشخيص- العلاج- دراسات علمية). ط1. عمان، الاردن: دار المسيرة.
3. حاج محمد يحي، بوسعدة قاسم. (2020). الحاجة إلى الإرشاد الأسري لأسر أطفال اضطراب التوحد. مجلة دراسات نفسية وتربوية، المجلد 13 / 2، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 233- 250.
4. سامية رحال. (2019). التوافق الزواجي في ظل وجود طفل توحيدي: قراءة نسقية لدراسة حالة أسرة. المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد 5 العدد 3، مركز رفاد للدراسات والابحاث، الأردن، 209- 222.
5. عايش صباح، مجاهدي الطاهر. (2019). التنشئة الاسرية ودورها في تنمية مهارات التنظيم العاطفي للأطفال. مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، المجلد 9 العدد (2)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 173 -182.
6. لوعالي فاطمة، قادري حليلة. (2021). التناول النسقي للارجاعية لدى اخوة الطفل التوحيدي.مجلة العلوم النفسية والتربوية، 7(3)، جامعة الوادي، الجزائر، 287- 311.
7. محمد عصام طربية. (2011). الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والعناية بهم الأردن: مؤسسة بلسم للنشر والتوزيع.
8. محمد عيسى اسماعيل. (2007). الفروق في أبعاد التفاعل الاسري داخل أسر التلاميذ ذوي الاعاقة الذهنية البسيطة العدوانيين وغير العدوانيين بدولة الكويت.رسالة ماجستير في التربية الخاصة.جامعة الخليج العربي، مملكة البحرين.
9. محمد متولي قنديل، صافي ناز شلبي. (2006). مدخل إلى رعاية الطفل والأسرة. عمان، الاردن: دار الفكر.

10. ميادة احمد عثمان.(2007). فاعلية برنامج ارشادي مقترح لأهلات الاطفال التوحيدين لخفض مستوى السلوك الانسحابي لأطفالهن بولاية الخرطوم. بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التربية وعلم النفس. جامعة الخرطوم، السودان.
11. معهد البوحة الدولي للأسرة.(2018). رفاة الأسر المتعايشة مع اضطراب طيف التوحد في قطر.ط1. البوحة، قطر: دار جامعة حمد بن خليفة للنشر.
12. مؤسسة التوحد يتحدث.(د ت). دليل الوالدين للتوحد: أداة دعم الأسر من مؤسسة التوحد يتحدث، تم الاسترجاع بتاريخ: 2021/08/20 من الرابط
13. <https://aljalilchildrens.ae/uploads/files/parents-guide-to-autism-arabic.pdf>
14. كادر مراكز أوت للتوحد، كادر المركز للتوحد. (2015). الخطوات الأولى: كراس الأهلة للأولاد المشخصين على طيف التوحد، تم الاسترجاع بتاريخ: 2021/08/20 من الرابط
15. <https://alut.org.il/wpcontent/uploads/2014/12/%D7%A6%D7%A2%D7%93%D7%99%D7%9D%D7%A8%D7%90%D7%A9%D7%95%D7%A0%D7%99%D7%9D%D7%91%D7%A2%D7%A8%D7%91%D7%99%D7%AA1.pdf>
16. 14-Claude, L, N., Laura, G. (2009). Processus et stratégies d'adaptation positives de parents face à la déficience intellectuelle de leur enfant, Revue Francophone de la déficience intellectuelle, volume 20, 5-16.
17. 15-Dilip V. Jeste , M. D.& al. (2013). Diagnostic and statistical manuel of mental disorders. DSM-5 TM.Fifth Edition. American Psychiatric Association, New School Library, Washington, DC.
18. 16-Lamarche, C. (1985). Les parents d'un enfant handicapé. Revue de la littérature américaine. Santé mentale au Québec, Vol 10, N 1, 36-45.
19. 17-Malhotra, A. K., & Sharma, A. K. (2013). A study to assess the disability impact on parents of childrenwith mental retardationstudying in twospecialschools of Delhi. Indian J. Prev. Soc. Med, 44 (1-2), 25-34.